

روح المعاني

إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في ونقل عن أحمد مثل ذلك .
ومن الناس من منع التوسل بالذات والقسم على الله تعالى بأحد من خلقه مطلقا وهو الذي
يرشح به كلام المجد ابن تيمية ونقله عن الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وأبي يوسف
وغيرهما من العلماء الأعلام وأجاب عن الحديث بأنه على حذف مضاف أي بدعاء أو شفاعة نبيك
صلى الله عليه وسلم ففيه جعل الدعاء وسيلة وهو جائز بل مندوب والدليل على هذا التقدير
قوله في آخر الحديث : اللهم فشفعه في بل في أوله أيضا ما يدل على ذلك وقد شنع التاج
السبكي كما هو عادته على المجد فقال : ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبي A إلى ربه ولم
ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم
وابتدع ما لم يقله عالم وصار بين الأنام مثله انتهى .

وأنت تعلم أن الأدعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الائمة ليس فيها التوسل
بالذات المكرمة A ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤل بتقدير مضاف كما سمعت أو نحو ذلك
كما تسمع إن شاء الله تعالى ومن ادعى النص فعليه البيان ومارواه أبو داود في سننه وغيره
من أن رجلا قال لرسول الله A : إنا نستشفع بك إلى الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك فسبح
رسول الله A حتى رأى ذلك في وجوه أصحابه فقال : ويحك أتدرى ما الله تعالى إن الله تعالى لا يشفع
به على أحد من خلقه شأن الله تعالى أعظم من ذلك لا يصلح دليلا على ما نحن فيه حيث أنكر عليه
قوله : إنا نستشفع بالله تعالى عليك ولم ينكر E قوله : نستشفع بك إلى الله تعالى لأن معنى
الاستشفاع به A الدعاء منه وليس معناه الإقسام به على الله تعالى ولو كان الإقسام معنى
للاستشفاع فلم أنكر النبي A مضمون الجملة الثانية دون الاولى وعلى هذا لا يصلح الخبر ولا ما
قبله دليلا لمن ادعى جواز الإقسام بذاته A حيا وميتا وكذا بذات غيره من الارواح المقدسة
مطلقا قياسا E بجامع الكرامة وإن تفاوت قوة وضعفا وذلك لأن ما في الخبر الثاني استشفاع
لإقسام وما في الخبر الأول ليس نصا في محل النزاع وعلى تقدير التسليم ليس فيه إلا الإقسام
بالحي والتوسل به وتساوى حالتي حياته ووفاته A في هذا الشأن يحتاج إلى نص ولعل النص
على خلافه ففي صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا قحطوا
استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك A فتنسينا
وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فانه لو كان التوسل به E بعد انتقاله من هذه
الدار لما عدلوا إلى غيره بل كانوا يقولون : اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا فاسقنا
وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس وهم يجدون أدنى مساع

لذلك فعدولهم هذا مع أنهم السابقون الأولون وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله A وبحقوق
الله تعالى ورسوله E وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج
الكربات وتيسير العسير وإنزال الغيث بكل طريق دليل واضح على أن المشروع ماسلكوه دون
غيره .

وما ذكر من قياس غيره من الأرواح المقدسة عليه A مع التفاوت في الكرامة